الفصل الثالث

محافظة أسوان

"كرم.. شجاعة.. انتماء" صفات تُلخص مشوار هذه المدينة السمراء؛ أو كما أطلق عليها عبر التاريخ أطيب المدن وأقدمها. هي "مدينة التضحيات" كما قيل عنها فى حكايات أخرى، وعلى الرغم من تعدد صفاتها إلا أنها تظل ماركة مسجلة للأخلاق والنبل على مر العصور. "أسوان" بلد النوبة ومركزها فى مصر منذ مطلع التاريخ بداية من العصر الحجرى مروراً بالفرعونى والإسلامى والحديث، والتى سجل التاريخ اسمها من ذهب وسط أكثر المدن المصرية القديمة التى اشتهرت بالطبيعة الخلابة الساحرة وبالكنوز والثروات المعدنية التى تكمن تحت كل حبة تراب من أرضها. فعرفت النوبة قديماً ببلاد الكنوز لما تحويه أرضها من مناجم ذهب وألماس ومعادن متعددة؛ وقد عرفت بمناجم "نوبيرية"، ومن هنا اشتق الاسم لفظ "نوب" الذى يعنى الذهب باللغة المصرية القديمة "الهيروغليفية"، وعلى الجانب الآخر نجد فى المعجم أن كلمة "نوب" تعنى جيلاً من الناس يعيش فى بلاد تسمى باسمهم، بينما أطلق على أسوان بشكل عام فى العصر البطلمى اسم "سين"، وسماها النوبيون "يبا سوان"، بمعنى كنز كبير أو مقبرة لملوك النوبة الذين عاشوا فيها آلاف السنين. لم تتوقف كلمة الكنوز عند الذهب والألماس وحسب، فلم تكمن الثروات فى أعماق أرضها وفقط إنما سكنت وتغلغلت داخل قلوب

سكانها، ليجود النيل الذى طالما غمر أرضها بصفة الكرم والسخاء على أبنائها وتجسد طبائعهم السامية صفة التضحية والشجاعة منذ مطلع التاريخ، ويمر الزمن ويثبت شعبها أن من بينهم أيضاً جنوداً عرفوا بالشجاعة والإقدام يستطيعون حماية أرضهم والدفاع عنها ضد أى معتد؛ فحينما غزا الهكسوس مصر استعان الملك "أحمس" بالصناع المهرة والعجلات الحربية من أبناء النوبة لإعادة بناء الجيش المصرى الذى استطاع القضاء على الهكسوس، كما شكل سكانها الذراع اليمنى لـ"صلاح الدين الأيوبى" فى معظم معاركه وانتصاراته.

كما أنها محافظة ذات شهرة عالمية واسعة نالتها من تاريخها وجغرافيتها الساحرة حيث قامت في أسوان أكبر حضارة على ضفاف النيل منذ سبعة آلاف عام. وتضم أسوان كثيراً من المعالم الأثرية التي ترجع إلى مختلف العصور. حيث تنتشر المعابد بطول المحافظة من الجنوب إلى الشمال في "أبو سمبل"، و"كلابشة"، و"فيلة"، و"كوم أمبو" و"إدفو" شمال أسوان. بالإضافة إلى المسلة الناقصة، ومتحف النوبة الشهير المتأسس حديثاً، والمعابد الصخرية على شاطئ بحيرة ناصر، ومقابر النبلاء حكام النوبة في الدولتين القديمة والحديثة، والمقابر الفاطمية التي تقع جنوب شرق أسوان. وأيضاً أول مدرسة حربية انشائها "محمد علي" وتسمى الآن باسم مدرسة العقاد. بجانب العديد من الآثار من مختلف العصور التاريخية والتي سوف تتناولها صفحات هذا الكتاب بالشرح.

❖ أسوان عبر العصور التاريخية :

كانت أسوان تعرف باسم "سونو" في عصور المصريين القدماء ومعناها (السوق) حيث كانت مركزاً تجارياً للقوافل القادمة من وإلى النوبة. ثم أطلق عليها

في العصر البطلمي اسم "سين" وسماها النوبيون "يبا سوان". وعرفت أيضاً باسم بلاد الذهب لأنها كانت بمثابة كنز كبير أو مقبرة لملوك النوبة الذين عاشوا فيها آلاف السنين. وقد اشتهرت أسوان في العصور التاريخية بموقعها الجغرافي وبوجود الأحجار الصلبة بها كالجرانيت والديوريت وغيرها. وكانت حدود أسوان تمتد قديماً قبل الهجرة من إسنا شرقا إلى حدود السودان جنوباً، وكان سكانها من النوبين ولكن بعد الفتح الإسلامي لبلاد النوبة سكن فيها بعض قبائل العرب.

♦ العصر الفرعوني :

بدأت أهمية أسوان في عصر الدولة القديمة حيث كانت تمثل الحدود الجنوبية للبلاد. يقول العالم "جوتيه" أن أسوان حلت محل "إليفانتين" وهى جزيرة أسوان حالياً كعاصمة للمقاطعة منذ العصر الأثيوبي، وقد ظهرت أهمية هذا الإقليم في أواخر عصر الدولة القديمة حيث كان من أهم واجبات الإقليم تأمين الحدود الجنوبية، كما كانت أسوان مركزاً لتجمع الجيوش حينما حاول ملوك الدولة الوسطى مد سلطانهم جنوب. ولعبت أسوان دوراً خاصاً حاسماً أثناء جهاد المصريين لطرد الهكسوس وتكوين الدولة الحديثة، وقد اشتهر قائدان من أهل هذا الإقليم ببسالتهم وهما "أحمس بن إبانا" و"أحمس بن نخت" ومقبرتهما بـ"المحاميد" تحويان نقوشاً تحدثنا عن أعمالهما الباهرة وجهادهما في سبيل وطنهم.

♦ العصر البطلمي:

فى عصر البطالمة نالت جزيرة "فيلة" موطن عبادة الإلهة "إيزيس" الكثير من اهتمامهم فأكملوا معبدها الكبير وشرعوا في إقامة غيره من المعابد، كما أقاموا معابد أخرى في جزيرة "إليفانتين" على أطلال المعابد السابق إقامتها.

وفيها قام "إراتوستينس" بدحض نظرية الأرض المسطحة وقام بأول حساب لمحيط الكرة الأرضية متخذاً "سيين" مركزاً والأسكندرية نقطة طرفية لحساب طول القوس بين النقطتين وزاوية سقوط ضوء الشمس على كل من المدينتين ومنهم حسب محيط الأرض. وقد اعتمد "إراتوستينس" في إثبات نظريته على تعامد الشمس على مدار السرطان (المار تقريباً بأسوان) يوم ٢١ يونيو.

♦ العصر الروماني :

سار الرومان على نهج البطالمة من حيث إنشاء المعابد على الطراز المصري القديم للتقرب من المصريين؛ فأنشأ الإمبراطور "تراجان" معبداً صغيراً في جزيرة "فيلة" أطلق عليه (كشك تراجان).

♦ مصر القبطية :

جاءت المسيحية إلى مصر عن طرق كثيرة؛ فقد كان أول رسول جاء إلى مصر هو "برثولماوس" الرسول قبل عام ٦٠ ميلادية. وجاء "برثولماوس" إلى "سونو" (أسوان) عام ٦٠ ميلادية ومعه "متي" الرسول، وانطلق "متي" من "سونو" إلى الحبشة، و"برثولمانس" انطلق من هناك إلى "أرمينيا"، وجاء عام ٦٠ ميلادية إلى الأسكندرية "مارمرقس" الرسول وأسس الكرسي المرقسي وقُتِل هناك عام ٦٨ ميلادية على يد الفراعنة واليونانيون. ومن القديسين الذين ولدوا في أسوان الأنبا "هدرا السائح". وعندما انتشرت المسيحية وأصبحت ديناً رسمياً للبلاد حوالي القرن الخامس الميلادي تحولت المعابد المصرية القديمة إلى كنائس وكانت جزيرة "فيلة" مركزاً لأحد الأسقفيات مما أدى إلى انتشار المسيحية جنوباً تجاه بلاد النوبة في مصر والسودان.

♦ العصر الإسلامي :

ومن الجلي أن الإسلام قد انتشر في هذا الإقليم منذ بدء ظهوره إذ عثر على شواهد مكتوبة بالخط الكوفي يرجع تاريخها إلى أوائل القرن لهجري، كما ازدهرت أسوان في العصر الإسلامي إذ ظلت حتى القرن العاشر الميلادي طريقاً إلى "عيذاب" على البحر الأحمر حيث تبحر السفن إلى الحجاز واليمن والهند واشتغل أهلها بتجارة العطور والتمر وسن الفيل والصمغ وريش النعام وفي ذلك يقول الشاعر:

يابرق قبل وصولنا لحميثرة بلغ سلام العاشقين معصراً

و"حميثرة" وادي في صحراء "عيذاب" وكان هو طريق الحج أيضاً. كما كانت مركزاً ثقافياً هاماً في القرنين السادس والسابع الهجريين، وكان بها ثلاث مدارس أقدمها مدرسة أسوان وقد درس بها العلامة "إسماعيل بن محمد بن إحسان الأنصارى"، والمدرسة السيفية وتولى التدريس فيها علماء أجلاء منهم "الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن المفضل". وعندما غزى الفرنسيون مصر ظلت أسوان المنطقة الوحيدة التي استعصت عليهم ولم يستطع "ديزيه" إخضاعها وارتد مدحوراً. وفى أسوان أنشأ "محمد على" باشا أول مدرسة حربية في مصر سنة ١٨٣٧ بقيادة "سليمان" باشا الفرنساوى.

❖ جغرافية أسوان :

محافظة أسوان محافظة من محافظات مصر الجنوبية. عاصمتها مدينة أسوان. وهي إحدى المحافظات الخمس المكونة لإقليم جنوب الصعيد بجانب كل من محافظات سوهاج والبحر الأحمر وقنا والأقصر. وهي البوابة الجنوبية

لمصر وتقع على الضفة الشرقية للنيل عند الشلال الأول للنيل. يحدها من الشمال محافظة الأقصر، وشرقاً محافظة البحر الأحمر، وغرباً محافظة الوادي الجديد، وجنوباً السودان عند خط عرض ٢٢ شمال مدار السرطان. وإحداثياتها: ٢٤,٠٥ ش ٣٢,٥٦ ق. عدد سكانها ٢٠٠,٠٠٠ نسمة. وأسوان من أجف البقاع المأهولة على وجه الأرض. وتقع مدينة أسوان عاصمة المحافظة على الشاطئ الشرقي للنيل، وترتفع مدينة أسوان حوالي ٨٥ م فوق سطح البحر، وتبعد عن القاهرة ٨٧٩ كلم. وتبلغ مساحة المحافظة ٣٤،٦٠٨ كلم٢. وبها أيضاً مدينة أبو سمبل، وقرى "التهجيرة" النوبية، كما تضم بحيرة ناصر والتي تضم مشروع مفيض توشكى. وهى حلقة اتصال بين مصر والسودان وبذلك فهى البوابه إلى قلب القارة الإفريقية مما يجعلها مركزاً تجارياً هاماً.

تتكون محافظة أسوان من المراكز التالية:

• إدفو • كوم أمبو • دراو • أسوان • مركز ناصر

والمدن التالية:

• أبو سمبل السياحية • كلابشة • الرديسية • البصيلية • السباعية

♦ العاصمة :

مدينة أسوان هي عاصمة محافظة أسوان وأهم مدن النوبة المنطقة الحضارية التي طالما ظلت البوابة الجنوبية لمصر، تقع المدينة على الضفة الشرقية لنهر النيل عند الشلال الأول. يصلها بالقاهرة خط سكة حديد وطرق برية صحراوية وزراعية ومراكب نيلية ورحلات جوية محلية. ويبلغ عدد سكانها تقريباً ٩٠٠ ألف نسمة. وترتبط بوادي "حلفا" براً عبر معبر "قسطل" الذي افتتح سنة ٢٠١٤م.

❖ تقسيم سكان أسوان :

• أولا: السكان الأصليين فهم النوبيون، وينقسمون إلى قبيلتي "الكنوز" و"الفجيكات"، ويبلغ عدد النوبيين في أسوان تقريبا ٣٠%، واللهجة النوبية هي سبب تسميتهم بذلك الاسم.

• ثانيا: العرب وهم جاءوا مع الفتح الإسلامي لمصر فإتخذوا من أسوان سكن، ويبلغ عدد العرب بها ٥٠ %، وينقسمون إلى أكثر من عشر قبائل وأشهرهم: الجعافرة – البشارية – العبابدة – الأنصار – العليقات (العقيلات) – بنى هلال، وبسبب تحدثهم اللغة العربية جاء اسمهم العرب، وبعكس النوبيين وليس لأنهم بدو ففي بعض البلاد يطلقون على البدو عرب.

• ثالثا: باقي السكان هم مصريين نازحين يعيشون في أسوان لكسب الرزق بصفة موقتة ودائمة.

❖ أقاليم أسوان قديماً :

كانت هذه البقعة من الأرض قديماً تنقسم إلى إقليمين :

أولاً : الإقليم الأول وهو إقليم "تاستي".

ثانياً : الإقليم الثاني وهو إقليم "أمنتي حور".

ثالثاً : أجزاء من الإقليم الثالث وهو إقليم "نخن".